رحلة

لن نكررها

بقلم سلمى سعيد

الفصل الأول

قبل ثلاث سنوات ذهبتُ في رحلة فضائية برفقة مجموعة تضم أعظم العلماء على كوكب الأرض , و كانت أعمارهم تتراوح بين الثانية , و الخمسين , و السبعين من العمر بينما أنا العبقرية ليلى كنتُ في الرابعة , و العشرين من العمر .وَصلَت المركبة الفضائية إلى كوكب المريخ , و كنا نرتدي ملابس رواد الفضاء الشفافة التي تجعلك تظن أننا نرتدي ملابسنا العادية فقط , مزود الأكسجين المصغر موجود في أنوفنا , و ناقل المحادثات السريع موجود في رؤوسنا , فنحن نُفكر لكي نوصل للآخرين ما نريد قوله بأسرع ما يمكن .كان من المفترض أن نقوم ببعض البحوث , و نجمع بعض العينات , ثم نعود إلى كوكب الأرض أمنا الحنونة التي تتلهف على احتضاننا .

التقط الجميع إشارة من البروفسور كوفر كانت عبارة عن صراخ غير مفهوم , لكن بعد أن هطل ذلك المطر الغزير استطعنا أن نفهم البروفسور كوفر , فقد بدأ ذلك المطر في إذابة ملابس رواد الفضاء الشفافة , ركضنا بسرعة نحو مركبتنا , و قاد البروفسور كوفر المركبة ليعود بنا إلى الأرض , أصابنا الهلع عندما وجدنا أن ملابس رواد الفضاء قد ذابت تماماً , و تبللت ملابسنا العادية , و تأثر كل من مزوّد الأكسجين , و ناقل المحادثات بهذا المطر المخيف .

لأول مرة أحزنُ عندما أعود إلى كوكب الأرض فعند ذهابنا كانت الجماهير تحيينا بحماس , عانقني قيس عناقاً جعلني أشعر بأنه يريد أن يلتصق بي ليذهب معي , لكن عندما عدنا وجدنا رجال الشرطة , و رجال المعمل المركزي فقط لا أثر للجماهير , لا توجد أية عائلات , فقط آليون , وجاد , و رجاله , ثُمّ أخذنا في مركبات منفصلة إلى المعمل المركزي .

كنتُ أنظر إلى المطار من نافذة مركبتي توقعتُ أن يظهر قيس , و هو يحاول الدخول إلى المطار لرؤيتي , ألصقتُ وجهي بالنافذة لعلني لم أره لأنني أبتعد عن المطار .

_ يا له من قيس مزيف .

بعد عدة ساعات صرّح مدير المعمل المركزي أن ذلك المطر كان مجرد ماء عادي له نفس تكوين مياه الأمطار العادية , و ظل أمر البدلات التي ذابت لغزاً محيراً.

الفصل الثاني

_ اعتاد البشر على أن يظنوا أن الأيام تمر بسرعة , و الزمن يداوي جروح القلوب هذا ما قلته , و أنا أنظر إلى بطني المنتفخة بحنان , فقد اشتعلت نار الحب بعد أن خمدت , و تزوجتُ قيس في احتفال عائلي رائع .

جلستُ مقابلة لقيس , و تولت الروبوتات طبخ , و تقديم طعام الإفطار لنا , كنا نبدو أفضل زوجين محبين على الإطلاق , كدتُ أن أرتشف رشفة من قهوتي لولا صوت جرس الإنذار الذي سمعته , وضعتُ كوب القهوة على الطاولة الشفافة , بينما نهض قيس ليتفقد الوضع , ظهرت شاشة التأكد من الأمان أمام قيس لا حريق لا زلزال لا فيضان إضافة إلى ذلك , فإن نظام الانذار شُغل في شقتنا فقط.

_ ما الذي يجري هنا يا قيس ؟

أخفضتُ رأسي كطفلة عاتبها والدها على اللعب بالنار .

تنهد قيس بقلق , ثم اقترب مني, و هو يقول :

_ عزيزتي أنا فقط قلق عليكِ , و على ابنتنا التي أريدها أن تكون رائعة مثل والدتها تماماً . احمر خداي , بينما اتسعت عينا قيس , تحمحم شخص ما , فالتفتتُ إلى الخلف لأجد أمامنا نائب رئيس قسم التحاليل , و الفحوصات جاد ينظر إلينا نظرات جامدة لطالما كنتُ لا أحب وجهه الخالي من ملامح الرقة , و الإنسانية .

_ سيدي نائب رئيس المعمل شرفتنا

_ شكراً لك يا سيد قيس , لكن أنا لا آتي لزيارة أحد عبثاً كنتُ أظن أنكَ تعرف هذا جيداً .

عض قيس شفته السفلى محاولاً أن يمنع الكلمات النابية من الخروج من فمه , بينما قلتُ برسمية :

_ سيد جاد أي مهمة جئت من أجلها إلى هنا ؟

_ جئتُ من أجلك يا ليلى .

الفصل الثالث

حدث ذلك أمام أشجار مزيفة تغرد عليها طيور هولوجرامية ذات صوت آلي جميل مشهد رومانسي مثالي للقرن التاسع , و العشرين , لذا لابد من أن الشخص الذي طلب مني المجيء إلى هذا المكان تحديداً شاب يريد أن يأخذ موعداً يقابل فيه والدي ليطلب يدي للزواج . في طريقي إلى الساحة الخلفية للجامعة كنتُ أحاول أن أتخير عبارات لطيفة تجعل طريقة رفضي لمشاعر ذلك الشاب محترمة , و إنسانية إلى حد ما , فقد كنتُ أحب قيس حينها. توقفتُ عن المشي عندما استطعتُ رؤية ذلك الشخص من بعيد , حدثتني نفسي بأن أهرب , لكنني وجدتُ أن الهرب أكثر إذلالاً من الرفض , لذا واصلتُ المشي .

كان يستند برومانسية إلى جذع شجرة صُنِعت من مواد بلاستيكية , و يحمل في يده باقة ورود حمراء تم إنتاجها في معمل نباتات الزينة .لا داعي لأن تعرف ما قاله لي بعد أن رفضته , لكن يمكنني أن أخبركَ بأن نظرات الحب الدافئة الذي كان ينظر إليّ بها قد صارت نظرات نارية لن تخمدَ حتى تراني أحترق حتى الموت . منذ ذلك اليوم لم أتكلم معه بل إننا لم نسبق أن تبادلنا تحية الصباح , أو تحية المساء رغم أننا بعد تخرجنا مباشرة عملنا في مكان واحد .

الوشاة أدوا عملهم ببراعة فتطوعوا بنقل كل ما يقوله جاد عني إليّ , مثلاً لم يُضيّعوا فرصة أن يخبروني بأنه قال عني :

_ يقولون عنها عبقرية , و لم يدرك الحمقى أنها لم تصر عبقرية إلا بعد أن صار كل أهل الكوكب أغبياء .

بغض النظر عن أنه أهان نفسه في كلامه السابق إلا أنه بدأ يشتم قيس , و ينعته بالثعلب الماكر الذي عرف كيف يوهم فريسته أنه يحبها لم أتحمل هذا , يمكنه أن يشتمني , أما قيس فهو خط أحمر , ذهبتُ إلى مكتبه , و صارحته بما علمتُ , توقعتُ أن ينكر ذلك فصفة الكذب تليق به , لكن يبدو أنه اكتفى بصفة القسوة , فقد هز رأسه , و قال :

_ في الحقيقة يجب عليّ أن أشكر الوشاة على مجهودهم الرائع , فقد وفرا عليّ عناء رؤية وجهك الدميم .

غادر جاد مكتبه ليتنفس الهواء الطلق , بينما كنتُ أتفقد ملامحي في المرآة الصغيرة , ثم تنهدتُ بارتياح عندما عرفتُ أنني ما زلتُ ليلى العبقرية الجميلة .

الفصل الرابع

استيقظتُ من غفوة الذكريات على صوت جاد الذي أخرج مسدساً ذي رصاصات كهربائية , ووجهه نحو قيس, و هو يقول :

_ لا أريد أن أسمع أي حماقات رومانسية , لذا ستدع ليلى تذهب معي . كنتُ عقلانية أكثر من قيس .

_ سأذهب معك لكن بشرط أن تدع قيس , و شأنه .

اتسعت عينا قيس من شدة الدهشة أراد أن يقول شيئاً , لكن جاد قال :

_ سنأخذ قيس , لكن إلى مكان آخر . في تلك اللحظة كاد قيس أن ينشب أظافره في رقبة جاد لولا تلك الرصاصة الكهربائية التي استقرت في جسده , فصعقته , و سقط على الأرض دون حراك .

صَرَختُ بكل ما أملك من صوت لكن لم يأتِ أحد من الجيران , و لأنني عبقرية أدركتُ أن جاد أرسل إليهم رسائل إلكترونية يخبرهم فيها أن من يتدخل في هذا الأمر فسوف يكتب اسمه في قائمة المسجونين ركبتُ خلف جاد في سيارته , كانت عيناي تتابعان ما يحدث لقيس فقد حمله رجال جاد , و رموه في حافلتهم .

_ لا تقلقي سيكون بخير .

ظهر الامتعاض على وجهي, و قلتُ:

_ لو كان سيظل في بيتنا لصدقتُ أنه سيكون بخير , لكن بما أنه برفقة رجالك الرائعين , و أنا سأكون برفقتك أنتَ لا أعلم هل أقلق على نفسي , أم على قيس ؟

قهقه جاد ساخراً , ثم شغّل السيارة التي حلقّت في سماء واشنطن الجديدة , كنتُ أنظر إلى الشارع , و العِمَارة التي أسكنها بحزن شديد , هذا المكان الذي اخترته برفقة قيس أثناء تنزهنا قرب هذه المنطقة , و أشرتُ إلى الشقة السابعة , و أنا أقول :

_ سنسكن هنا لأنني فتاة محظوظة . ضحك قيس كثيراً , و قال لي : _ لا أظن أن صاحب تلك الشقة سيتركها إنها تبدو رائعة فعلاً . لكن صاحب الشقة تركها فعلاً بعد أن انتحر ابنه الشاب فيها , و حصل ما أردتُ, فمصائب قوم عند قوم مكاسب .

اتسعت عيناي عندما سمعتُ جاد يقول :

_ لو كنتُ مكانكِ لما ذهبتُ في تلك الرحلة .

الفصل الخامس

البطل يمل من حياته العادية جداً , فيعيش مغامرات فظيعة تجعله يتمنى بشدة أن يعود إلى حياته الرتيبة , هكذا كانت موضة معظم الأفلام في واشنطن الجديدة في الصيف الماضي . لم أكن أنظر إلى الأفلام على أنها ترفيه فقط بل كنت أعتبرها نوعاً من الغوص في أعماق النفس البشرية التي لا تقنع أبداً . تعلمتُ الدرس , فلم أتمنى حياتاً أكثر تشويقاً من حياتي مع قيس , عموماً أنا أعيش حياة رائعة حافلة بالإنجازات فلم قد أريد أن أعيش حياة مختلفة ؟

دلفتُ إلى الغرفة التي أشار إليها جاد , الغرفة صغيرة و معقمة , و هذا ليس غريباً , فهي في أكبر المعامل على هذه الأرض , أُغلق الباب , و جلستُ على كرسي أبيض كان في وسط الغرفة , و على الجدار المقابل لي كانت هناك شاشة شفافة . فجأة قامت الأشعة بمسح الغرفة كاملة , نظرتُ إلى الشاشة بترقب كانت النتيجة ضوءً أخضر , تنهدتُ بارتياح أخيراً سأُغِيظ جاد , و أعود إلى البيت , انتظرتُ لمدة ساعتين كاملتين , لكنّ الباب لم يُفتح بل قامت الأشعة بمسح الغرفة مرة أخرى .

ابتلعتُ ريقي بخوف , و انتظرتُ نتيجة الفحص الثاني تزايدت دقات قلبي عندما مرت دقيقة كاملة دون أن تظهر أي نتيجة على الشاشة . يمكنني القول بأنني عشقتُ الضوء الأخضر منذ تلك اللحظة التي ظهر فيها على الشاشة مرة أخرى , الآن أثبتُ لهم أنني بخير , لكن الباب لم يفتح بعد . بعد ما يقارب نصف ساعة فُتح الباب , فابتسمتُ رغم أنني كنت أنظر إلى وجه جاد , ثم نهضتُ , فأشار عليّ جاد بأن أتبعه .

بَدَت الممرات التي عبرتُها برفقته غريبة بالنسبة إليّ رغم أنني عملتُ في هذا المركز قبل أن تتم ترقيتي انتظرتُ أن تظهر بوابة المركز في نهاية الممر , لكن ذلك لم يحدث .

_ لماذا توقفتِ فجأة ؟

_ إلى أين تأخذني ؟

ظهر روبوتان على هيئة حراس , و تقدما مني فتراجعتُ إلى الخلف

_ جاد ما الذي تنوي فعله ؟

_ الوقت مبكر على معرفة ذلك يا ليلى .

الفصل السادس

لم أَرُد عليه , فقد أصابتني رصاصة خاصة من الخلف في رجلي اليمنى , مما جعلني أسقط على الأرض , و لم أقدر على أن أتحرك , ابتسم جاد عندما ظهر البروفسور كوفر على كرسي متحرك .عقدت الدهشة لساني بينما اتسعت عيناي , قام الروبوتان بوضعي على حمالة تطفو فوق سطح الممر , ثم اتجهت هذه الحمالة إلى الأسفل حيث فتحت بوابة سرية. كنتُ أهبط إلى الأسفل أردتُ أن أهرب أن أتحرك, و لو قليلاً , لكن ذلك كان دون جدوى

كان المكان مظلماً , و الحمّالة ما زالت تتجه إلى الأسفل أين قيس ؟ و ما الذي سوف يحدث لي ؟ توقفت الحمالة أخيراً لكن السعادة لم تداعب قلبي , فأنا لا أعرف الآن ما الذي يجب أن أسعد به , و ما الذي يجب أن أحزن عليه .

سمعتُ أصواتاً ضعيفة لستُ البائسة الوحيدة إذن , من الواضح هذه مؤامرة أعدها جاد برفقة رئيسه البروفسور كوفر , بعد أكثر من ربع ساعة أضيئ المكان , فوجدتُ نفسي في وسط غرفة واسعة , و حولي كان أعضاء الرحلة البغيضة جالسين على كراسٍ مشكلين دائرة, و قد كانت أرجلهم مربوطة بالكراسي , و كذلك أيديهم .

هناك ثلاثة كراسٍ خالية كرسيي و كرسي البروفسور كوفر , و كرسي البروفسور كيفن خالٍ أيضاً , آخر مرة التقيتُ فيها بالبروفسور كيفن كانت قبل عامين عندما دعوته لحضور حفلة زفافي , و قد كانت آثار السهر واضحة عليه , و كذلك إدمان الخمور ,عرفت منه أن نار الحب في قلب زوجته لم تكن موجودة من الأساس , فقد اعترفت بأنها تزوجته منذ عشرين عاماً فقط لكي يقول الناس عنها : _ هذه زوجة البروفسور كيفن , ولكي تحسدها النساء على ترف عيشها معه , ثم انفصلَت عنه ببرود .

منذ ذلك اليوم , و الرجل لا يشرب إلا الكحول , و يأكل التفاح فقط , و يدخن السجائر الممنوعة في منطقته بكثرة , و لم أره بعد حفلة زفافي . نظرتُ إلى العباقرة الذين جلسوا بهدوء شديد فقط بعض الشكوى تغادر فم الدكتورة لورا , و لاتصل إلى آذان البقية , كانوا متعبين إلى درجة أن أعينهم لم تكن مفتوحة بالكامل , و لم أكن أحسن حالاً منهم .

فخر العائلة إذن؟ كدتُ أن أضحك عندما تذكرتُ أول مرة قيل لها هذا الكلام حدث ذلك في آخر سنة لي في الإعدادية حينما طورتُ بمساعدة الدكتورة لورا مزود الأكسجين , بحيث يصير حجمه ضئيلاً جداً , و كفاءته عالية , أقام والدي حفلة كبيرة , و أحضر لي جاتوه صُممت على شكل مجرة درب التبانة .

تُرى ماذا قال جاد لوالديّ ؟ هل سوف تصير المرأة التي كانت فخر العائلة مرثاة العائلة كلها ؟ وددتُ لو أنني أعود إلى الوراء ثلاث سنوات , لأمنع العباقرة من الذهاب في تلك الرحلة المشؤومة .

الفصل السابع

في إحدى حصص التاريخ أخبرتنا المعلمة الكثير عن حال العالم قبل ثورة الطبيعة التي آذاها البشر ظناً منهم أنها لا تقدر على الانتقام , فحدثت زلازل مروعة , و فيضانات جارفة , و العديد من العواصف في شتّى الدول , فتقلصّت خريطة العالم بشكل فظيع , و انقرضت أنواع كثيرة من الحيوانات , فتعاون البشر , وساعدوا بعضهم البعض على النجاة , ثم طوروا العديد من الآلات , و زادت أدوار ناطحات السحاب لكي تستوعب أكبر قدر ممكن من السكان , و صار اسم كل منطقة يتبع بكلمة الجديدة , مثل : واشنطن الجديدة , لندن الجديدة , باريس الجديدة , ...إلخ

رغم ذلك من الصعب أن يتعلم البشر الدرس , فمع زيادة التطور التكنولوجي زادت المواد الكيميائية الضارة مما كان ينذر بثورة طبيعة ثانية كما أن احتكاكات عدة حصلت بين بعض المتطرفين , و قد يؤدي ذلك إلى حرب عالمية ثالثة , لذا قرر الرئيس أن يوجه الرحلات الاستكشافية إلى كوكب المريخ لأنه أقرب من كوكب كيبلر 186 _ف , و رحلات المريخ ستكون أقل تكلفة . سمعتُ صوت أقدام تنزل من السلم القريب منها حيث ظهر البروفسور كوفر , و خلفه جاد .

أرادت الدكتورة لورا أن تصرخ أن تشتم الاثنين , و من عيّنهما , و من وثق بهما , لكن صوتها لم يكن كافياً ليسمعاها بوضوح , لذا قررت أن تظل صامتة مثل البقية .

_ لا شك في أن معظمكم يعرف أن البروفسور كيفن قد توفي نتيجة إفراطه في تدخين السجائر ذات السموم المركزة قال البروفسور كوفر , بينما اتسعت أعيننا ليس بسبب صدمة تلقي مثل هذا الخبر فالجميع كان يتوقع للبروفسور كيفن هذا الموت المبكر , خلف جاك ظهر روبوتان يمسكان بشخص هائج نعم لقد كان هذا الرجل هو البروفسور كيفن .

الفصل الثامن

_ ما الذي يحدث هنا ؟

قلناها جميعاً بصوت واحد , سعل البروفسور كوفر , ثم أشار إلى جاد بأن يجلسه على كرسي بين الدكتور سمارت , و الدكتورة لورا كأنه بذلك يخبرنا أنه لم يصر عدونا كما نظن . أجلسني الوقح جاك على كرسي بين الدكتورة لورا , و البروفسور ستيفن , لم أحاول مقاومة جاد فقد قل أثر الرصاصة , فاستطعتُ رؤية البروفسور كيفن بوضوح كانت هناك نتوءات بنفسجية على مناطق مختلفة من جسمه إضافة إلى ذلك فقد كان ينظر إلينا بعينين صفراوتين .

لاحظ البروفسور كوفر مدى اندهاشنا , , فقال , و هو يرفع بنطلونه :

_ انظروا إلى رجلاي.

اتسعت أعيننا أكثر فقد كانت لديه أيضاً نتوءات بنفسجية على رجليه . كانت نظراتنا المترقبة كفيلة بأن تجعل البروفسور كوفر يشرح لنا كل شيء .تلك الرحلة المشؤومة هي سبب ما يحدث لنا حالياً , و ما سيحدث لنا في المستقبل , فقد كان ذلك المطر يحتوي على كائنات فضائية دقيقة جداً , و هي التي تولت إذابة ملابس رواد الفضاء , لكي تصل إلى ملابسنا العادية , و منها إلى خلايانا , و قد تمكنت من الاندماج بخلايانا و صارت جزءاً لا يتجزأ منا , و بقي المطر العادي الخالي من الكائنات الفضائية عالقاً بملابسنا و أجسامنا .

فور أن توفي البروفسور كيفن خرجت الكائنات الفضائية من مخبأها , و سيطرت على جسده , أما البروفسور كوفر بعدما رأى تحول البروفسور كيفن طلب من الطبيب أن يبتر رجليه , ففعل الطبيب ذلك و خلال عدة دقائق نَمَت رجلا البروفسور كوفر و بها تلك النتوءات البنفسجية .

كان من الصعب أن أصدق هذا الكلام ليس لأنه لا يستند على تجارب علمية , بل لأنني أدركتُ جيداً أن حياتي الجميلة ستتشوه , كنا في حالة لا نُحسد عليها من الخوف و التوجس مما هو آتٍ , تذكرتُ أمراً مهماً فسألت البروفسور كوفر : ماذا عن قيس ؟ لقد أردنا التأكد من أن الكائنات الفضائية لم تنتقل إليه , فجعلنا الطبيب ينتزع جزءاً من جلده فلم ينمو جلده من جديد فتأكدنا من أنه سليم تماماً .

لم أغمض عيناي بقرف عندما أخبرني بما فعلوه بقيس فهو على الأقل ليس أسيراً في يد كائنات لا تُرى بالعين المجردة .

_ما الذي ستفعلونه بنا ؟

لا أدري لم سألته سؤالاً لا أريد أن أعرف إجابته .

لأجل مصلحة البلاد و كوكب الأرض قررت هيئة الأمم المتحدة أنه يجب علينا أن نعيش في كوكبنا الجديد كوكب المريخ , لم يعارض أحد و لم يؤيد أحد كلام البروفسور كوفر حتى أننا لم نعاقبه على إحضارنا بمثل هذه الطريقة الهمجية .أعاد الروبتان البروفسور كيفن الهائج إلى غرفته , بينما أتت الحمالة لتأخذني إلى مكان ما مشى جاد بجوار الحمالة , و قال : ألم أقل لكِ أنك ستندمين على اشتراككِ في تلك الرحلة ؟

لم أجبه فلم تكن لدي أدنى رغبة في الكلام .

الفصل التاسع

غرس جاد الإبرة في يدي , ثم قام بسحب دمي أول مرة أشعر فيها بألم رهيب كهذا يبدو أن الفضائي الصغير لا يريد ترك مسكن رائع مثل جسدي .

كانت الابتسامة البشعة لا تفارق وجه جاد , و هو يراني أتألم بشدة , حقاً إنه رجل بغيض .

الفصل العاشر

_ هل سحبوا منكِ أية دماء ؟

حركت الدكتورة لورا رأسها نافية ذلك , فعضضتُ شفتي السفلي بغيظ , و ما الغريب في هذا فذلك الرجل البغيض يتسلى بتعذيبي فقط ؟ على كل رغم أنني حزينة لأنني لم أحظَ بفرصة توديع قيس , و والداي إلا أنني سعيدة جداً لأنني لن أرى وجه اللئيم جاك مجدداً .نحن الآن نعيش في كوكب المريخ حيث قل هياج البروفسور كيفن بشكل ملحوظ , كان كأنه طفل يصرخ لأنه ضاع , و ها قد عاد إلى بيته الآمن .

أما أنا , و البقية فقد ظهرت النتوءات البنفسجية على أجسامنا منذ أول لحظة وطئت فيها أقدامنا كوكب المريخ .هل السعادة شيء محرم عليّ ؟ هذا ما دار في ذهني عندما هبطت تلك المركبة على سطح كوكب المريخ توقعتُ أن يكون قيس المزيف قد جاء لزيارة حبيبة قلبه , لكن الشخص الذي خرج من المركبة كان جاد الذي ظهرت على جسمه نتوءات بنفسجية .

_ هل سحب دمي لكي يصير مثلي ؟!

_ يا له من رجل غبي .

صفحتي على الفيسبوك

Salma saeed